كلية الآداب
قسم التاريخ

السلطان مسعود بن محمود الغزنوي
الأحوال السياسية والحضارية في عهده
(٤٢٢ – ٤٣٢ هـ / ١٠٣٠ – ١٠٤٠ م)

رسالة مقدمة من الطالب
ياسر عبد الجليل بشير طه
لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

تحت إشراف
الأستاذ الدكتور
فتحي أبو سيف
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة عين شمس

القاهرة ٢٠١٠

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة السلطان مسعود بن محمود الغزنوى و الأحوال السياسية و الحضارية فى عهده و بقدر قصر عهد مسعود قياساً بغمر الدولة الغزنوية وجوداً على أرض خراسان وكانت التحزبات السياسية التى شهدتها السنوات الأولى من حكم مسعود قد أودت إلى ضياع أملاك الدولة ؛ أعطت فرصة لتفوق السلاجقة أمام الغزنويين وكان لاتجاههم نحو الهند فرصة أخرى للتقدم السلجوقى .

وتنقسم هذه الدراسة إلى تمهيد يتناول عهد السلطان محمود الغزنوى ثم أربعة فصول أختص الأول بالسلطان مسعود والسياسة الداخلية والخارجية للدولة فى عهده والشق الأول من الفصل يسلط الضوء على مسعود كشخص من حيث المولد والمنشأ والشخصيات المؤثرة فيه وعلاقته بالبيت الغزنوى خصوصاً والده السلطان محمود مروراً بولايته العهد ثم خلعه عنها مع الأشارة إلى المنازعات السياسية بالدولة مع بداية حكم مسعود والضربات المتبادله بين الحزب المحمودى والحزب المسعودى ثم نظم الحكم والإدارة من حيث نظام الحكم ولاية العهد وأهم الوظائف القيادية للدولة وأختصاصتهم أيضاً النظم القضائية والحديث عن السياسة الخارجية فى عهد مسعود من خلال تتبع الفتوحات التى أقامها فى الهند والغور وأقام فتوحاً لمدن و مناطق إستعصت على والده من قبل ونجح فى وضع خطط حربية واقتحم القلاع وهدم الحصون

أما المحور الثانى يدور حول العلاقات السياسية على المستوى الخارجى بين مسعود و القوى المشرقيه المعاصرة له مثل الخلافة العباسية و حكام التركستان والبويهيين والزياريين ، وأفردت للحديث عن العلاقة بين السلطان مسعود والسلاجقة أما الفصل الثانى فقد أشار إلى الحياة الاقتصادية بالدولة الغزنوية وتناول الحديث عن النظم الزراعية وملكيتها وعن أنواع الأراضى وطرق الرى بالأضافة إلى مشكلات الزراعة وسبل القضاء عليها مع عرضاً لأهم المحاصيل الزراعية . أيضاً الصناعة والثروات المعدنية بالدولة وأهم المنتجات الصناعية وأنواعها ثم الحديث عن التجارة بالأضافة للحديث عن أهم السلع والمنتجات داخلياً وخارجياً وعن المراكز التجارية الكبرى بالدولة وأهم الطرق التجارية بالأضافة للحديث عن أهم السلع والمنتجات والأشارة إلى المعاملات التجارية والأكيال والموازيين والمقاييس المستخدمة والعملات

وفى الفصل الثالث تشير الدراسة إلى الحياة الاجتماعية بالدولة ومظاهرها من حيث عناصر السكان وعرضا للنظام الطبقى وشرائحه بالاضافة إلى العقائد والاتجاهات المذهبية والعادات والتقاليد والأعياد والمناسبات الاجتماعيه والمواكب الرسمية والمجالس الاجتماعية بالاضافة

الى الدور السياسى والحضارى للمرأه فى المجتمع الغزنوى وتابعت الدراسة فى الفصل الرابع الحركة الثقافية بالدولة خلال عرض لأهم المراكز الثقافية بالدولة و أيضاً المدارس والمكتبات والمجالس العلمية مع الأشارة إلى العلوم النظرية والأنسانية والدينية والعلوم التجريبية ونبوغ علماء تلك الفترة فى تلك المجالات .

وانهيت الدراسة بخاتمة توضح أهم نتائج البحث يليها ملاحق تشمل الصور والخرائط ويتبعها قائمة بمصادر ومراجع للدراسة التى اتبعت المنهج الوصف التحليلى ولعل ما يميز البحث قصر الفترة التاريخية لإجلاء ما يتعلق بها من إشكاليات .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ- ز
تمهيد : عهد السلطان محمود الغزنوي ٣٨٩ – ٤٢١ هـ / ٩٩٨ –١٠٣٠ م	١-٢٠
الفصل الأول : السلطان مسعود والسياسة الداخلية والخارجية في عهده ٤٢٢ –٤٣٢هـ / ١٠٣٠ – ١٠٤٠م	٢٢-٦٢
الفصل الثاني : الحياة الاقتصادية في الدولة الغزنوية في عهد السلطان مسعود	٦٤ –١٠١
الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية في الدولة الغزنوية في عهد السلطان مسعود	١٠٣-١٣٥
الفصل الرابع : الحركة الثقافية في الدولة الغزنوية في عهد السلطان مسعود	١٣٧-١٦٩
الخاتمة	١٧١-١٧٤
الملاحق	١٧٦-١٧٨
المصادر والمراجع	١٧٩-١٩٣

مقدمة

تكتسب الدراسات التاريخية المتعلقة بعصر الدويلات المستقلة بالمشرق الإسلامي أهمية خاصة لدى الباحثين نظرًا لالتفاف أحداثها وغموض بعضها وما وصف بأنها عصور اضمحلال وتدهور لكيان الخلافة العباسية.

وموضوع هذه الدراسة يدور حول الدولة الغزنوية، تحديدا عهد السلطان مسعود بن محمود الغزنوي (٤٢٢ – ٤٣٢ هـ/ ١٠٣٠ – ١٠٤٠ م) وقد تبدو هذه الفترة قصيرة نظريا" حيث لا تتعدى عشر سنوات لكن من خلال التأمل في طبيعة التطورات السياسية والحضارية لها نجد أنه من الصعب إحالتها أو تضمينها داخل عصر معين فعندما نحاول أن نفسر طبيعة تلك التطورات ومراحلها تتباين إشكاليات لا تتضح دون تتبع جذورها.

وأغلب الدراسات التي تتعلق بالغزنويين خرجت متفرقة وعديدة ومع اعتراف الباحث باستفادته منها فإنها لم تتطرق لموضوع البحث سوى في سطور قليلة وفات أكثرها دراسة مسببات عديدة لم تخرج بحلول مرتبطة وغير مفسرة ولعل من أهم الصعوبات التي واجهت الباحث في هذه الدراسة هى قصر الفترة التي تغطيها وبقدر ما لصعوبتها بقدر ما هي فكرة مشرف البحث فطالما نادى بضرورة التأريخ للعهود والسنين والبعد قدر الإمكان عن العصور والقرون لمزيد من التركيز وبلورة الثغرات البحثية لأجل الاقتراب أكثر من ملامح الصورة التاريخية.

كذلك صعوبة أخرى تمثلت في تعدد مباحث الدراسة في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومن هذا التعدد اقتضى الأمر ضرورة تنوع مصادر البحث لتشمل كتب التاريخ والجغرافيا والأدب والفقه وغيرها مما أجهد الباحث لانتقاء ما تيسر من مصادر لبناء المادة العلمية وهيكلتها في الإطار العام للدراسة ثم إخضاعها للمنهج الوصفي التحليلي بحثًا عن دلائل وعناصر تخدم المعرفة على أقرب الوجوه لهذا الجزء الهام من تاريخ المشرق الإسلامي.

ولن أزعم تقديم صورة واضحة ومنهجًا متكاملاً فهو من الأمورغير المتاحة منهجيًا ومعرفيًا.

ولقد قسمت البحث إلى تمهيد وأربعة فصول تناولت في التمهيد المدلول الجغرافي للدولة الغزنوية وقراءة لعهد السلطان محمود الغزنوي، فمن الضروري دراسة المرحلة السابقة مباشرة لعهد مسعود للوقوف على ظواهر وقضايا ذات نبتة محمودية كونت نسقا" مع الكيان المسعودي وأثرت فيه بشكل واضح، تلك القراءة إجمالية على النواحي السياسية والحضارية.

أما الفصل الأول فسلطت فيه الضوء على السلطان مسعود وسياسته الداخلية والخارجية فتعرضت له من حيث المولد والنشأة والشخصيات المؤثرة فيه داخل البيت الغزنوي وصولاً لولايته للعهد ثم وصوله للحكم مرورًا بالتركيز على تطور النزعات السياسية إلى أن تم اغتياله على مشارف نهر السند، ثم تناولت السياسة الداخلية للدولة من حيث الجهاز الإداري والتنظيمات

الداخلية من دواوين ووظائف متفاوتة الأهمية وخصصت شق للسياسة الخارجية للغزنويين في عهد السلطان مسعود وركزت فيه على الفتوحات في بلاد الهند والغور والتي ساهمت في توسيع بلاد الإسلام ثم العلاقات السياسية بين مسعود والقوى المشرقية المعاصرة مثل الخلافة العباسية والبويهيين وحكام التركستان ثم محورًا أفردته للحديث عن السلاجقة والموقف المتبادل بينهم وبين مسعود حتى قيام دولة السلاجقة في أواخر عهده بخراسان.

وتحولت في الفصل الثانى لدراسة الحياة الاقتصادية ومؤشراتها التي ارتفعت جراء الفتوحات الهندية وكيف لعبت السياسة دورها في تردي الوضع الاقتصادي الذي انتعش مع بداية عهد مسعود وتدهور أواخره فأثر ذلك على المناحي الزراعية والصناعية والتجارية ، فالبنسبة للزراعة تحدثت عن طبيعة الأرض وملكيتها ونوعيتها ومصادر المياه إضافة إلى الحديث عن أهم المحاصيل الزراعية وعن المشكلات الزراعية وفيما يخص الصناعة أشرت للثروات الصناعية بأقاليم الدولة وجهود الغزنويين تجاه استغلالها وعن أهم الصناعات ثم الحديث عن التجارة بشقيها الداخلي بين الأقاليم والخارجي مع المناطق المجاورة مع الإشارة إلى المعاملات التجارية والمكاييل والموازين المستخدمة وقتها بالإضافة للعملات المتداولة والتذكارية.

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن الحياة الاجتماعية للغزنويين في عهد مسعود من خلال استعراض ملامحها وما تركته من مؤثرات متفاعلة فيما بينها تصنع حال اللحظة لعهده من حيث العوامل المتباينة بين الرسمي والشعبي _ القصر والرعية_ فأشرت لعناصر السكان وطبقات المجتمع وشرائحه ، والعادات والتقاليد والأعياد والمناسبات والمجالس الاجتماعية بجانب الحديث عن الأطعمة والأشربة والملابس والرياضات والألعاب ثم إلقاء الضوء على الدور السياسي والحضاري للمرأة فى عهده.

وتابعت فى الفصل الرابع مسار الحركة الثقافية بصورة موجزة مع التعرف على التيارات الأدبية والعلمية والبيئة الثقافية ومؤثراتها السابقة وركزت على أهم الظواهر العلمية في التاريخ والتي شرف عهد مسعود باحتضانها وهو العالم (أبوريحان البيرونى ت.٤٤٠هـ _١٠٤٨م) فقد أشرت لعلاقته بالسلطان مسعود وارتباطهما بصداقة قوية كان منبعها إعجاب البيروني بحب السلطان مسعود للعلم مما جعل هذا العالم يوسم بعض مؤلفاته الهامة بالصيغة المسعودية .

وقد استلزم هذا البحث الرجوع إلى العديد من المصادر والمراجع العربية والفارسية والأوروبية نذكر منها الآتي:

الكتب التاريخية :

تاريخ اليمينى لعبد الجبار العتبي (ت . ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م)

وهو المؤرخ الرسمي لبلاط السلطان محمود الغزنوي ويحتوي تاريخ اليمينى على معلومات لأحداث تاريخية ترصد الفترة ما بين عامي (٣٦٥ – ٤١٢ هـ) والقارئ لهذا الكتاب يكتشف أنه

مؤلف بناء على طلب رسمي من السطان محمود ونلاحظ فيه أيضا غلبة الكتابة المنمقة واستخدام الألفاظ والتراكيب والمحسنات البديعية وعلى الرغم من ذلك فإن العتبي أشار إلى معلومات استفاد منها الباحث في التعرف على سياسة الغزنويين الخارجية خاصة مع حكام القوى التركستانية وعن فتوحات الهند كذلك معلومات عن منشأ مسعود وعلاقته بوالده وتظهر أهمية الكتاب فى أنه المصدر الأساسي لتاريخ السلطان محمود .

زين الأخبار لأبى سعيد عبد الحي الكرديزي : (ت . ٤٤٢ هـ/ ١٠٥٠ م)

وهو كتاب مؤلف أصلا باللغة الفارسية ويعتبر من أهم المصادر التاريخية التي تتناول التاريخ السياسي لخراسان بصفة خاصة في نهاية حكم السامانيين وبداية الحكم الغزنوى وأهم ما في الكتاب هو احتواؤه على معلومات عن السفارات المتبادلة بين الغزنويين وحكام التركستان وعن الصراع الغزنوي السلجوقي في خراسان خلال عهد السلطان مسعود بن محمود الغزنوي كما أشار لفتوحات الهند حيث جاءت أكثر تفصيلا وقام بترجمة الكتاب للعربية د/ عفاف السيد زيدان .

تاريخ البيهقي لأبى الفضل محمد البيهقي (ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦ م)

وهو جزء من سفر كبير ألفه البيهقي نائب رئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان مسعود وكان كتابا ضخما عنوانه تاريخ آل سبكتكين ومع الأسف ضاع أغلب هذا الكتاب ولم يتبق منه سوى ما يتناول أغلب فترة حكم السلطان مسعود لذلك أطلق عليه أحيانا (تاريخ مسعودي) وتتضح أهمية الكتاب في أن مؤرخه كان شاهد عيان للأحداث ولازم مسعود لفترات طويلة كما أن منصبه بدايون الرسائل كان يتيح له الإطلاع على معلومات هامة تتعلق بمصلحة الدولة على المستويين الداخلي والخارجي .

وحتى لا تلصق بالبيهقي شبهة المماحكة نجده لم يتردد في توجيه النقد الصريح لتصرفات مسعود الخاطئة وقد استفاض عند الحديث عن الحياة الاجتماعية للغزنويين وعن أعيادهم وتقاليدهم وإلى غير ذلك من معلومات.

الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م) وهو كتاب على المنهج الحولي

قدم فيه ابن الأثير عرضا لتاريخ الإسلام ودوله ونلاحظ أنه كلما اقترب ابن الأثير لعصره تزداد المعلومات نضجا وتوثيقا من حيث التحليل ومهارة النقد ، وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب القيم فيما يخص تاريخ الغزنويين حيث نقل ابن الأثير عن العتبي والكرديزي بأمانه علمية وحيادية .

سياست نامه لنظام الملك الطوسى (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) وتعود أهمية كتاب سياست نامه إلى احتوائه على معلومات تاريخية مستمدة من الكثير من المصادر إضافة إلى شرحه لأصول ومبادئ الحكم .

جهار مقاله للسمرقندي (ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤ م)

وجهار مقاله تعني المقالات الأربع وبعد كل مقالة منهما يسرد السمرقندي عشرات القصص المتواترة التي تحمل قدرا من المصداقية لتزيد من أهمية الكتاب ويرى مؤلفه أن الملوك في حاجة هامة إلى الشعراء والكتاب والمنجمين والأطباء لأنهم زينة الملك ومظهر استقراره واستفاد الباحث من هذا الكتاب فيما يخص الدراسة.

روضة الصفا لميرخواند (ت ٩٠٣ هـ/ ١٤٩٢ م) وهو مؤرخ العهد التيموري وألف كتابه هذا في سبعة مجلدات تحدث في المجلد الرابع عن الدويلات المستقلة بالمشرق ومنها الدولة الغزنوية ، واستفاد الباحث من هذا الكتاب فيما يخص السياسة الخارجية للغزنويين وعن العلاقة بين مسعود ومحمد ووالدهما السلطان محمود الغزنوي .

كتب الجغرافيا والرحلات :

المسالك والممالك للاصطخري (ت ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م) وعرض فيه الاصطخري للمدلول الجغرافي للعالم الإسلامي ووصف أقاليمه جغرافيا واقتصاديا كما يشتمل على معلومات مفصلة عن خراسان وتوران وفارس قلما نجدها في كتاب آخر فتعرض لذكر المدن والقري والرساتيق وأساليب الزراعة والري والخراج وما إلى ذلك .

صورة الأرض لابن حوقل (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) وهو رحالة بغدادي طاف العالم الإسلامي لغرض التجارة والتبضع وكذلك الاطلاع على ثقافات البلاد وحرص على تدوين ما يشاهده بدقة تفوق سابقيه من الرحالة الجغرافيين .

أحسن التقاسيم للمقدسى (ت ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧ م) وكمثل سابقيه طاف بلاد الإسلام وعمل بالتجارة وتكمن أهمية كتابه فى تدوينه للمعاملات المالية والعادات والتقاليد .

تلك المصادر الجغرافية استفاد منها الباحث في التعريف بأهم المدن والقرى والمناطق التي ذكرت في الدراسة.

ولا نغفل الإشارة لبعض المصادر الأخرى مثل كتاب "الهند للبيروني" وكتاب "الآثار الباقية" وكتاب "الجماهر في معرفة الجواهر" للبيروني أيضا.

ومن المصادر الفارسية نذكر كتاب "طبقات ناصري" للجوزجاني(ت ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩ م) مؤرخ الدولة الغورية وكتاب "حبيب السير" للمؤرخ خواندمير(ت ق١٠هـ/ ١٦ م) .

كتب التراجم والطبقات :

ومما ساعد الباحث على جمع المادة العلمية الاطلاع على كتب التراجم والطبقات والفرق نذكر منها كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة (ت٦٦٧ هـ/ ١٢٧٠ م) وكتاب "يتيمة الدهر" للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) وكتاب "طبقات الشافعية" لتاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) وكتاب الأنساب للسمعاني (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م) وكتاب كشف المحجوب للهجويري (٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢ م) وكتاب طبقات الفقهاء للشيرازي (ت ق ٦ هـ / ١٢ م) وغيرها من المصادر التي أفادت الباحث في التراجم للشخصيات والمذاهب والفرق.

أما فيما يخص المراجع فنذكر كتبا" مثل "المصاهرات السياسية في العصرين الغزنوي والسلجوقي" وكتاب "المشرق الاسلامى بين التبعية والاستقلال" وكتاب "مظاهر من الحضارة الإسلامية" للدكتور فتحي أبو سيف وكتاب "خراسان في العصر الغزنوي" للدكتور محمد حسن العمادي وكتاب "رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية" للدكتور بدر عبد الرحمن محمد وكتاب "تاريخ المسلمين في شبة القارة الهندية" للدكتور أحمد الساداتي وكتاب "ظهر الإسلام" لأحمد أمين وكتاب "تاريخ الإسلام في الهند" للدكتور عبد المنعم النمر.

ونذكر أيضا كتب المستشرقين المتعلقة بالبحث و التي ترجمت للعربية ومن أهمها كتاب تركستان من الفتح العربى للغزوالمغولى للمستشرق الروسي بارتولد(Bartold) وهو كتاب قيم للغاية ويحتوى على معلومات هامة وحيادية لا نراها في مؤلفات أقرانه وقد نقل الكتاب للعربية صلاح الدين عثمان هاشم .كذلك كتاب تاريخ بخاري لفامبري(A.vampere) وقام بترجمته أحمد الساداتي ، كذلك كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لأدم متز(A.metz) ونقله للعربية محمد عبد الهادي أبو ريدة وكتاب المكاييل والأوزان لهانتس(V.Hunts) ونقله للعربية كامل العسلي كذلك كتاب تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدي لبراون(E.brown)ونقله للعربية إبراهيم الشواربي وكتاب حضارات الهند لجوستاف لوبون(G.lebon) ونقله للعربية عادل زعيتر.

ومن أهم المراجع الفارسية التي تغطي فترة البحث نذكر كتاب "ديالمه وغزنويان" لعباس برويز وكتاب "سلطنت غزنويان" لخليل الله خليلي وكتاب "تاريخ مختصر أفغانستان" لعبد الحي حبيبي.وكتاب "تاريخ كرد وبيوستكي" لرشيد ياسمي وكتاب "اصطلاحات ديواني دوره غزنويين وسلاجقة" لحسن انوري ، وكتاب "كزيده تاريخ ايران" لرضا شعباني وكتاب "أفغانستان در سير تاريخ" لميرغلام وكتاب "تاريخ ادبيات ايران" لذبيح الله صفا وكتاب "أحوال وآثار بيروني" لنفس

المؤلف ،وكتاب "بير برساى بيهق" لمنوجهرعلى بور،وغيرها من المراجع الفارسية المنصبة معلوماتها على التاريخ السياسي للغزنويين ومظاهر حضارتهم .

أما عن المراجع الأوروبية فتأتي مؤلفات المستشرق الهولندي "كيلفورد بوزورث" (C.E.BOSWORTH) حيث يعد من أكثر المستشرقين حديثا عن الغزنويين ونذكر من أهم مؤلفاته "The imperial policy of Early ghznavids" وكتاب "The medieval History of Iran and Afghanistan and central asia"
وكتاب"The coming of Islam in Afghanistan"
وأيضا مقالة "The political citation in baihqui masuide"
كذلك كتاب "A History of medieval Islam" للمستشرق ساندرز (Sunders)و كتاب "Trade in the Eastern Islamic countries" للمستشرق الألماني شبولر(سبولر) (Spuler) وغيرها من المراجع والمقالات والدوريات والموسوعات العربية والأوروبية بالإضافة إلى مواقع شبكة المعلومات الدولية.

تلك المصادرالتى جمعت منها المادة العلمية استلزمت الاطلاع عليها فى العديد من المكتبات نذكر منها مكتبة دار الكتب والوثائق القومية ومكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس وجامعة القاهرة ومكتبة القنصلية الإيرانية ومكتبة السفارة الباكستانية والمركز الثقافي الهندي والمركز الثقافي الروسي ومكتبة دير الآباء الدومينكان والمكتبة المركزية بجامعتي عين شمس والقاهرة ومكتبة الإسكندرية ومكتبة كلية الألسن بجامعة عين شمس ومكتبة مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة ومكتبة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ومكتبة كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ومكتبة كلية الآثار بنفس الجامعة بالإضافة لبعض المكتبات العامة مثل مكتبة منشية البكري ومكتبة الجيزة ومكتبة البارودي وغيرهم.

وأرى لزاما على أن أتوجه بكلمات التقدير لمشرف البحث الأستاذ الدكتور/ فتحي أبو سيف "أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية وعمدة المشرق الإسلامي " فقد لمست فيه وقار أهل العلم وتواضعهم، واستفدت من جزيل علمه وسديد رأيه وما زلت أحبو وراء نبراسه منذ التحاقي بالجامعة لأكثر من عشر سنوات ولا أملك سوى الدعاء له بالصحة والعافية وأن يمد المولى سبحانه وتعالى في عمره لمزيد من إثراء الحركة الثقافية للمكتبة العربية.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر للأستاذة الدكتورة/ ثريا محمد علي أستاذ و رئيس قسم اللغات الشرقية بكلية الألسن جامعة عين شمس على مساعدتها بالمصادر والمراجع الهامة وجزاها الله خيرًا،وأتوجه بالشكرأيضا لكل من أ/وليد الأخرس وأ/ طه عبد العال وأ/ إيهاب نبيل كما أشكر السادة الزملاء بإدارة الثقافة العامة والإدارة المركزية للشئون الثقافية.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر والتحية للأستاذ محمود علي بكلية الألسن لترجمته للنصوص الأوروبية وأ/ ياسمين مجدي بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة لترجمتها للنصوص الفارسية.

وأخيرًا علي الاعتراف بالجميل لأعز الناس والدتي ثم والدى الأستاذ عبد الجليل بشير وأدعو الله سبحانه أن ينعم عليهما بوافر الصحة والعافية وطول العمر فلهما الشكر والتقدير والعرفان بالجميل وجزاهم الله خير الجزاء.

وبعد...، فهذه محاولة لإلقاء الضوء على فترة وجيزة وهامة من تاريخ المشرق الإسلامي فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي.

والله الموفق،،

أولا : السلطان مسعود (٤٢٢ – ٤٣٢هـ/ ١٠٣٠ – ١٠٤٠م)

أ- المولد والنشأة :

ولد مسعود بن محمود الغزنوى قى سنة ٣٨٧هـ/٩٩٨م بمدينة غزنة فى نفس السنة التى توفى فيها جده سبكتكين ، لأم من نجباء منطقة قندهار الواقعة فى جنوب شرق أفغانستان ، وهو أخ للأمير محمد من الأب [١] أما عن نشأة الامير مسعود فكانت كغيره من أبناء السلاطين تربى على التقاليد الملكية منذ الصغر، والقصص المتواترة عنه فى محاربة الأسود وإن كان مبالغ فيها توحى بتربية ذات طابع تركى [٢].لم يتغيرهذا الطابع إلا مع ولايته للعهد وإقامته فى المشرق لفترات طويلة فأصطبغ كيانه بالتأثير الفارسى. ولاقى رعاية خاصة من جانب والده يفهم منها نيته فى إعداد مسعود للحكم منذ الصغر. [٣] فظل محمد ناقما عليه طيلة حياته وعمل بكل جد على الإطاحة بمركزه ولم يرث مسعود عن والده غير مساوئه[٤] مثل التعصب للرأى بصورة عمياء وإن كان فى بعض الأحيان يتراجع أمام رأى قواده لكلمة يراها صحيحة بعكس مسعود الذى ظل على تعصبه حتى لو كان رأيه خطأ.

ب- الشخصيات المؤثرة فى الأمير مسعود :

أثر أفراد البيت الغزنوى فى نشأته من والده وأمه الحرة القندهارية وأخيه محمد وعمتهما الحرة الختلية ، ورصد محمود لولده منذ البداية جواسيس ينقلون إليه أفعال ولده كذلك كان لمسعود جواسيس مضادة على والده واستطاع استمالة أقرب المقربين فى وقت سعى البعض من أصحاب المصالح الشخصية للزج بمحمد الغزنوى لسدة الحكم ، وفيما يتعلق بوالدة مسعود فكانت تدفع بابنها للأمام وتحسن من صورته أمام والده ، وليس معروف مدى تأثيرها السياسى لندرة المعلومات حولها ويمكن القول إنها شابهت إلى حد ما والدة الأمير إسماعيل الغزنوى من حيث

---

(١) يفهم ذلك مما رواه البيهقى حيث يذكر والدة مسعود فى عدة مواضع على أنها أم السلطان وقد تولى مسعود الحكم وعمره خمسة وثلاثون عاما وقتل بعد خلعه عن عمر يناهز خمسة وأربعين عاما ، انظر: البيهقى ، تاريخ البيهقى ، صفحات ١٨ ، ٧٧ ، ١١٧ ، ٧٢٧.

(٢) بارتولد ، تركستان ، ص ٤٣٥.

(٣) البيهقى ، المصدر السابق ، ص ١١٥.

(٤) بارتولد ، تركستان ، ص ٤٣٥.

التأثير على سبكتكين فى وصل جسور الثقة المتبادلة بينهما فى مواجهة تطلعات محمود ، و كان من الطبيعى أن يتولى مسعود الحكم إلا أن عوامل الفرقة بينهما والتوصية بولاية العهد لأخيه محمد نتجت عن عدة أسباب منها قيام محمد بتتبع أخطاء وهفوات مسعود عن طريق الجواسيس ونقلها للوالد بصورة تثير الشقاق[١].واتصال مسعود بحكام المناطق المجاورة وعقد المواثيق والعهود معهم متناسيا والده [٢].و احتجازه لأموال أصفهان وعدم إرسالها مبررا حقه فى مال أبيه [٣].

جعل محمود ولاية العهد ثنائية وقدم محمدا" على مسعود حيث هدف إلى إشغال الأخير فى الفتوحات وأبقى الآخر على خراسان وغزنة والهند [٤]. وثمة تحاسد من محمود تجاه ولده فاستماله بأن جعل له جيشا ضخما تحت خدمته بشرط عدم التعرض لأخيه محمد وربما عزل محمود ابنه عن ولاية العهد لعناده وجرأته فى الحوار[٥]. بقى أن نشير إلى حادثة توضح بعض الأمور، فعندما أقدم محمود على مصاهرة عقدت لمسعود تحولت هذه المصاهرة إلى الأمير محمد دون مبرر[٦]. فلم يبد اعتراضا" على موقف أبيه ولم يستجب لأنصاره بعصيان الوالد. أما الحرة الختلية فقد احتلت مكانة الصدارة عنده فلا يستطيع التحرك إلا بمشورتها وقد أعانته كثيرا فى توحيد الجبهة الداخلية ومواجهة الحرس المحمودى القديم ، وتوحى رسالتها إليه عند وفاة أخيها محمود بوعى سياسى فنقلت إليه الموقف على أقرب صورة وأكدت عدم عنايتها بفتوحاته بقدر ضرورة العودة إلى غزنة لأنها أصل الدولة [٧].

كذلك أثرت مربية مسعود في شخصيته مبكراً وكانت سيدة تجيد القراءة والكتابة وتحفظ القرآن ، وتفسر الأحلام ، فدعاها يوماً ليروي لها حلماً رآه في منامه ففسرته قائلة : " سوف يدين الغور

---

(١) ابن الاثير، الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص ٣٩٨ .

(٢) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص ٣٩٨.

(٣) ميراخواند، روضة الصفا ، ج٤ ، ص ١٥٨.

(٤) ميراخواند، المصدر السابق ، ص ١٦٠.

(5) Bosworth, the ghaznavids, P228.

(٦) البيهقى ، المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(٧) وكانت المرة الوحيدة التى خالف فيها مسعود رأى عمته الختلية عندما قرر السفر للهند فنصحته بعدم ترك خراسان وغزنة فأصر وتم قتله فى الطريق .انظر : ميراخواند ، روضة الصفا ، ص ١٦٣ .

بالطاعة وسوف تكون كأبيك " فرد عليها قائلاً: " إنني لم أبلغ بعد مكانة أبي " [١] ونلمس في تلك الرواية مدى تقدير واحترام مسعود لوالده ولكن الوضع تغير مع نهاية عهد محمود لكثرة الدسائس بينهما بفعل التيارات الحزبية المتعارضة داخل الدولة [٢] .أما السيدة سيتي زرين فكانت من الشخصيات المقربة لمسعود منذ صباه وبلغت في عهده منصب الحجابة في سراي الحريم وكان يعهد إليها بتبليغ ما يريد من الرسائل لأهل السراي [٣] .

ج) ولاية العهد٤٠٨هـ/١٠١٥م :

كان مسعود يشعر منذ صباه بأنه أفضل من أخيه وأكثر حظوة عند أبيه وحين شب الأمير شارك والده في حملات الغزو فكان له فضل ملموس في توسيع رقعة الدولة .وعندما رجع والده من خوارزم في سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٥م إلى بلخ إستدعى ابنه ومثل بين يديه ولاطفه في القول وأعطاه ولاية هراة [٤] .

يفهم من ذلك أن السلطان محمود أعد ابنه لولاية العهد حين ظهرت عليه علامات الملوك فعامله كخليفة له في الحكم وقدمه على أخيه محمد مما أثار حفيظة هذا فعمل بمساعدة رجاله في إشعال الفتن بينهما .وفي الأيام التي قضاها مسعود منفياً بالمولتان من قبل الوالد [٥] نتيجة ما حيك ضده من الدسائس كان يواصل هوايته في صيد الأسود رغم إصابته بالحمى وإحساسه بالوهن والإنكسار .وحينما شرع السلطان محمود في تجهيز ابنه الأكبر مسعود لولاية العهد في سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٥م حصل على تعهدات من البيت الغزنوى [٦] فبدت الدولة تتصارع داخلياً بين حزبين الأول هو الحزب المحمودي الذي وقف وراء محمد بن محمود والثانى هو الحزب المسعودي الذي انضم إلى مسعود فأصبحت الدولة تعاني من اضطراب سياسي تجلت مظاهره

---

(١) البيهقي ،تاريخ ، ص١١٧ .

(٢) فتحي أبو سيف، النزعات السياسية فى الدولة الغزنوية مع بداية حكم السلطان مسعود بن محمود الغزنوى،مجلة الدراسات الشرقية،عدد١٤، القاهرة١٩٨٦ ، ص١٣٤.

(٣) البيهقى،المصدر السابق ، صفحات ٤٢٠ ، ٤٥٢

(٤) الكرديزي ، زين الأخبار ، ص٢٩٤ .

(٥) البيهقي ، المصدر السابق ، ص١٣١.

(٦) نفسه ، ص١٤٢.